احتاطوا أحيانا فى ذلك الشعر نفسه ، ومن المعلوم أنهم أحاطوا الأعراب والبادية بسمتى « التقدير والتوثيق » ، وليس كل الشعراء الذين تداول الناس شعرهم — فى عصور الاحتجاج — بدواً وأعراباً يحقق شعرهم للنحاة الرضى عن أنفسهم ، وقوام هـــذا الرضى « الاحتياط الشديد للصفاء والنقاوة » وما دام الأمر كذلك فإن من الممكن تحقيق ذلك فى « الشعر » لا « فى الشعراء » أو بعبارة أخرى فى « الانتقاء » من مادة اللغة لا فى « كل المروى منها » ولذلك عمدوا أحيانا إلى اختيار « الغريب المتوعر » الذى يحمل سمات البادية سواء أكان من البادية فعلا أو مشابهاً لها فى « الغرابة والوعورة » ويوضح ذلك الموقف الآتى :

« عن المازنى قال : قلت للأصمعى : إنك لتحفظ من الرجز ما لا يحفظه أحـد !!

فقال : إنه كان همنا وسَدَمَنا [1] (سدمنا : حرصنا الشديد)

فلماذا كان الرجز همهم وسدمهم ؟ ! ولماذا تضخم المحفوظ منه لدى علماء اللغة مع أنه كان كما قال أحد العلماء لرؤبة « لو سبك رجزك ورجز أبيك ، لم تخرج منه قصيدة واحدة مستحسنة »

إن الأمر واضح !!! إذ كان الرجز يحمل سمات الجودة من « الوعورة والغرابة » تلك التى بحث عنها الدارسون بين مادة الشعر « لتحميلها بالغرائب من مشكلات النحو !!

بعبارة أخيرة تقول : إن أساس تفضيل الشعر على النثر لدى النحاة هو الاطمئنان — غاية الإمكان — إلى الصفاء والنقاوة فى لغته المدروسة [2].

---

(١) مراتب النحويين ص ٥٧ .

(٢) تعرضت لموضوع (النحاة والاهتمام بلغة الشعر) فى كتاب آخر لى هو (الرواية والاستشهاد باللغة) ص ١٤٠ وما بعدها .

وقد اقتضاه هناك الحديث عن (مصادر الاستشهاد) باللغة ومنها الشعر .